محاضرة مفرَّغة بعنوان:

قواعدٌ في تزكيةِ النَّفس

لفضيلة الشيخ الدكتور:

عبد الرزَّاق بن عبد المحسن العبَّاد البدر
-حفظه الله-

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنتُوبُ إِلَيْهِ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِين.

اللهُمَّ إنَّا نسألك علمًا نافعًا، وعملاً صالحًا، وأنْ تنفعنا يا ذا الجلالِ والإكرام بما علَّمتنا، وأنْ تزيدنا علمًا، وأن تجعل ما نتعلمه حجةً لنا لا علينا، اللهُمَّ أصلح لنا شأننا كله، ما شاء الله، لا حول ولا قوة إلا بالله.

أيُّهَا الإخْوةُ الكِرَامُ:

موضوع الحديث في هذا اللقاء، -الذي نسأل الله أن يعمَّه بالبركة والخير- عن: **(تَزْكِيَةِ النُّفُوسِ)**؛ وهذا الموضوع جليلُ القدرِ، عظيمُ الفائدة، كبيرُ الأهميَّة، تمسُّ الحاجة جدًا إلى مذاكرته والعناية به، والله -سبحانه وتعالى- يقول: ﴿**وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا * وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا * وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا * وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا * وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا * وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**﴾[1].

تأمَّل -رعاك الله!- هذا القسم بهذه الآيات العظيمة، والمخلوقات الكبار، الدالة على عظمة الله -جلَّ وعلا- يُقسِمُ بها -عزَّ وجلَّ- في أمرٍ جلل، وعظيمٍ للغاية، يُقسم جلَّ وعلا بهذه الآيات على أنَّ من زَكَّى نفسه أفلح، ومن دسَّاها خاب وخسر؛ ولهذا كان حقيقًا بكل عاقل أن يعمل جاهدًا في حياته على تزكية نفسه، والبعدِ عن تدسيتها.

وتدسية النفس هو طَمرُها بالرذائل، وغَمرُها بالحقارات، بحيث تكون نفسًا دنيئة، نفسًا رديئة، نفسًا وضيعة، نفسًا مُنحطَّة، فمن كانت نفسه كذلك خاب وخسر -عياذًا بالله-.

[1] [الشمس: 1- 10].

ومن زَكَّى نفسه وعمل على السمو بها، ورفعتها، وعلوها، وشرفها؛ فإنَّه مُفلِح؛ ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا**﴾. وأفلح؛ أي: تحقق فلاحه، والفلاح أجمع كلمة قيلت في حيازة الخير في الدنيا والآخرة. فمن زَكَّى نفسه حاز الخير في دنياه وأُخراه.

فتزكية النفس أمرٌ جَلل وعظيمٌ للغاية، وينبغي على كلِّ مسلم أن يُعنى به عنايةً دقيقة، وأن يهتم به اهتمامًا بالغًا.

والحديث حول هذا الموضوع يطول؛ لكنني -كما أُعلن- سأتحدث عن بعض القواعد والأصول المهمَّة في باب تزكية النَّفس، وأحسِبُ أنَّها -إن شاء الله- تعينُ العبد على السَّداد والقوامِ وحُسنِ السَّيرِ في هذا البابِ المبارك: (**بابِ تزكيةِ النُّفوس**).

❶ القاعدة الأولى:

أنَّ زكاة النَّفس بيد الله -عزَّ وجلَّ-، والله -عزَّ وجلَّ- هو الذي يُزَكِّي من يشاء؛ فالأمر لله، وبيد الله، ولا متزكِّي من النَّاسِ إلا من زَكَّاهُ الله؛ قال الله -تعالى-: ﴿**بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ**﴾[2]. وقال تعالى: ﴿**وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ**﴾[3]، وقال تعالى: ﴿**وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ * فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾[4]، وقال تعالى: ﴿**يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾[5]. والآيات في هذا المعنى كثيرة.

---

[2] [النساء: 49].

[3] [النور: 21].

[4] [الحجرات: 7- 8].

[5] [الحجرات: 17].

فهذا أصلٌ عظيمٌ في هذا الباب؛ ألا وهو: **أنَّ تزكية النفس وزكاؤها بيد الله؛ فمن أراد لنفسه أن تزكو، وأن تثبت، وأن تستقيم على الزكاة؛ فعليه باللجوء إلى الله، وطلب ذلك من الله، وحسن الإقبال على الله –جلَّ وعلا–؛ لأنَّ الأمر بيده –عزَّ وجلَّ–.**

وهذا ينقُلُنا إلى:

❷ **الأصل الثاني في هذا الباب العظيم؛ ألا وهو:**

أهمية الدعاء وعظيمُ مكانتِهِ في هذا الباب العظيم، وفي كل باب.

والدعاء –كما قال أهل العلم–: مفتاح كلِّ خير؛ قال بعض السلف: "تأملت الخير فإذا هو أبوابٌ كثيرة، الصلاة خير، والصيام خير، والصدقة خير، وبر الوالدين خير، وعلمت أنَّ ذلك كلَّه بيد الله"؛ أي: لا يمكن أن تصلِّي إلا إذا أعانك الله، ولا أن تصوم إلا إذا أعانك الله، ولا أن تبر والديك إلا إذا أعانك الله، كان الصحابة يقولون: "لولا الله ما اهتدينا .. ولا صمنا ولا صلينا"؛ كلُّ ذلكم بيد الله –عزَّ وجلَّ–.

يقول: "فأيقنت أنَّ الدعاء مفتاح كلِّ خير"؛ فكلُّ خيرٍ ترجوه لنفسك من خيرات الدنيا والآخرة، من الخيرات الدينية والدنيوية؛ فاطلبه من الله، وألجأ إلى الله –سبحانه وتعالى– في نيْلِهِ وتحصيله؛ ولهذا جاء في صحيح مسلم من دعائه عليه الصلاة والسلام: ((**اَللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي اَلَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي, وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ اَلَّتِي فِيهَا مَعَاشِي, وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي اَلَّتِي إِلَيْهَا مَعَادِي, وَاجْعَلْ اَلْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ, وَاجْعَلْ اَلْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ**))[6].

تأمَّل: (أصلح لي، أصلح لي، أصلح لي)؛ فلا يمكن أن تصلُح دينك، ولا يمكن أن يصلُح دينك، ولا يمكن أن تصلُح آخرتك إلا إذا أصلحها الله لك، فصلاح ذلك كلِّه بيد الله.

[6] رواه مسلم: (2820).

ولهذا جاء أيضًا في دعاء الكرب: ((**اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**))[7]. فهذا أمرٌ بيد الله.

وفي باب التزكية صحَّ عن النبي عليه الصلاة والسلام الدعاء، في صحيح مسلم من حديث زيد بن أرقم أنَّه عليه الصلاة والسلام قال في دعائه: ((**اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّها أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلاَهَا**))[8]. فسأل الله -سبحانه وتعالى- تزكية النفس؛ (آتِ نفسي تقواها) فالنفسُ لا تؤتى التقوى، ولا تؤتى الزكاة إلا إذا آتاها الله -سبحانه وتعالى- ذلك، ومنَّ عليها -جلَّ وعلا- به؛ فهو أمرٌ بيده.

ولهذا فقر العبد إلى الله -سبحانه وتعالى- فقرٌ ذاتيٌّ من كلِّ وجه، كما أنَّ غنى الله -سبحانه وتعالى- عن الناسِ غنًى ذاتيًا من كلِّ وجه ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ * إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ**﴾[9].

وقال -جلَّ وعلا- في الحديث القدسي: ((**يا عبادي، لن تبلغوا نفعي فتنفعوني، ولن تبلغوا ضُرِّي فتضروني، يا عبادي، كلكم ضالٌّ إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم، يا عبادي، كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي، كلكم عارٍ إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم**)).

فالأمر بيد الله -عزَّ وجلَّ-، والعبد بحاجةٍ شديدةٍ إلى دعاءٍ مستمر، وإلحاحٍ على الله -سبحانه وتعالى-، وحُسن إقبالٍ على الله -عزَّ وجلَّ-؛ راجيًا، طامعًا، راغبًا، مُقبلاً، والله -عزَّ وجلَّ- لا يخيبُ عبدًا دعاه، ولا يردُّ مؤمنًا ناجاهُ، وقد قال سبحانه: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ**

---

[7] رواه البخارى فى الأدب المفرد (ص: 244، رقم: 701).

[8] مسلم (2088/4 ، رقم 2722).

[9] [فاطر: 15- 17].

﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[10]؛ قال عمر -رضي الله عنه-: "إني لا أحمل همَّ الإجابة؛ ولكن أحملُ همَّ الدعاء".

❸ **الأمر الثالث -من القواعد المهمة في هذا الباب-:**

أنَّ القرآن الكريم -كلام ربِّ العالمين- هو كتاب التزكية، ومنبعها ومعينها، ومصدرها، ومن أراد لنفسه التزكية فليطلبها في كتابِ الله؛ فقد قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[11]، فهو عليه الصلاة والسلام يُزَكِّي بتلاوة الآيات؛ قال الله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾[12].

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[13].

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾[14].

قال -جلَّ وعلا-: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[15].

وقال تعالى: ﴿وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾[16].

وقال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[17].

قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾[18].

---

[10] [البقرة: 186].
[11] [آل عمران: 164].
[12] [ق: 45].
[13] [ق: 37].
[14] [العنكبوت: 51].
[15] [الإسراء: 9].
[16] [يونس: 57].
[17] [الإسراء: 82].
[18] [فصلت: 44].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾[19].

فالقرآن كتابُ التَّزكيَة، وكلما أكرم الله -سبحانه وتعالى- عبده ومنَّ عليه، بتلاوة القرآن، وتدبر آيِ القرآن، ومجاهدة النفس على العمل بالقرآن؛ نالَ من التزكية أوفر نصيب؛ قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾[20].

وتلاوة الكتاب حقَّ التلاوة بالقراءةِ والحفظ، وبالفهمِ والتَّدبر، وبالعمل بكتاب الله -عزَّ وجلَّ-، والعمل بالقرآن نفسه يُعدُّ تلاوة للقرآن، فليست التلاوة مجرد قراءة الحروف دون فهم المعاني، ولا أيضًا فهم المعاني دون عمل بالقرآن؛ قال الحسن البصري -رحمه الله-: "أُنزِل القرآن ليُعمل به، فاتخذ الناس قراءته عملاً".

4 القاعدة الرابعة -في هذا الباب العظيم، تَزكِيَة النَّفس-:

أهمية اتخاذ الأسوة والقدوة في هذا الباب؛ وقد قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[21].

وسمعنا قول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[22].

والنبي صلى الله عليه وسلم هو إمامُ المتزكِّين، وقدوة الخلق أجمعين، وسيِّدُ ولدِ آدم، بعثهُ الله -سبحانه وتعالى- للعالمين رحمة، وجعله للنَّاسِ قدوة، وأمر جلَّ وعلا بالإتساء به، والاقتداء بهدْيِهِ، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾، ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[23].

---

[19] [الأنبياء: 45].

[20] [البقرة: 121].

[21] [الأحزاب: 21].

[22] [آل عمران: 31].

[23] [الحشر: 7].

ولهذا لا سبيل إلى تزكية النفس بغير اتباع الرسول، لا سبيل لتزكية النفس بغير اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم؛ **فالتزكية هي الاتباع والاقتداء بالنبي الكريم عليه الصلاة والسلام، والسير على منهاجه القويم**، وكيف يُرام الوصول إلى التزكية والقبول بغير ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام، هذا لا يمكن، لا يمكن، فالذي يريد لنفسه التزكية؛ فليطلبها بالاتباع، (اتبعوا ولا تبتدعوا، فقد كُفِيتم). قال عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه–: "إنَّا نقتدي ولا نبتدي، ونتبع ولا نبتدع، ولن نضل ما تمسكنا بالأثر".

وهذا أمرٌ لابدَّ من التنبُّهِ له؛ لأنَّ الناس لا يزالون –في كل زمان– تُخترَع لهم اختراعات، ويُحدث لهم طرائق، وكثيرٌ منها يُدَّعى فيها أنها تُزكِّي النفوس، وتُهذِّب القلوب، وتُقوِّي الصلة بالله، إلى غير ذلك مما يُقال؛ والحقُّ أنَّ كلَّ مُحدثةٍ بدعة، وكلَّ بدعةٍ ضلالة، والحقُّ أنَّ ما كان من الأعمال ليس على أمر النبي صلى الله عليه وسلم مردودٌ على صاحبه، غير مقبولٍ منه، ((**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرنَا فَهُوَ رَدٌّ**))[24].

((**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**))[25]؛ ولهذا وجب على الإنسان الناشد والحريص على تزكية نفسه أن يُجاهد نفسه على الاتباع والاقتداء والتأسي بالرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، وليَحذَر من المحدثات والمخترعات والطرائق المبتدعات التي يدعي أربابها أنها تُزكِّي النُّفوس، ولا يزال أئمة الضلال يورطون العوام والجُهَّال بأعمال مُنكَرة، وفِعَال لا أصل لها في دين الله يدَّعون أنها تُزكِّي النفوس؛ حتى إنَّ بعضهم يوصي المبتدأ في الهداية، والداخل في أول طريقها بالانقطاع عن الجماعات! والخلوة في مكانٍ مظلم! ويُملي عليه ذكرًا خاصًا أو ألفاظًا معينةً يُرددها يزعم أنها تُزكِّي وتُهذِّب وتُربِّي إلى غير ذلك من الدعوات!

---

[24] رواه مسلم (1343/3 ، رقم 1718).

[25] متفقٌ عليه.

فتزكية النفس اتباعٌ للنبي عليه الصلاة والسلام، وسيرٌ على منهاجه القويم، ولزومٌ لصراط الله المستقيم، وحذرٌ من الانحراف أو الزيغ عن هذا الصراط بأي مسمىً كان، وبأي طريقةٍ ادُّعيتْ.

5 الأمر الخامس –من القواعد المهمة في هذا الباب–:

أنَّ التزكية تخليةٌ وتحلية، حقيقة التزكية: تخلية وتحلية، تجمع أمرين، دلَّ عليهما أصلُ مدلول هذه اللفظة في اللغة، ودلَّ عليهما أيضًا نصوص الشرع.

فالتزكية تخليةٌ وتحليةٌ؛ **التزكية**: تنقية للنفس من الرذائل والحقارات والدناءات، وتنمية لها بالفضائل والأعمال الصالحات والطاعات الزاكيات؛ فهي تجمع الأمرين.

وإذا رجعت إلى أصل مدلول هذه الكلمة في اللغة؛ قالوا في معناها: التزكية أو الزكاة هي: الطهارة، وقالوا أيضًا: الزكاة النماء، الزكاة الطهارة، وقالوا أيضًا: الزكاة النماء.

فالزكاة الشرعية المطلوبة من المؤمن؛ طهارةٌ ونماء.

طهارةٌ للنفس بتنقيتها وتخليتها من الرذائل، من الحقارات، من الخسائس، من الأعمال الدنيئات.

ونماءٌ؛ تنمية للنفس وتحلية لها بالفضائل، والطاعات، والأعمال الصالحات؛ قال الله –سبحانه وتعالى–: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾[26].

فترك المحرمات، والبعد عن الآثام، هذا كُلُّه تزكية للنفس؛ فالنَّفسُ تُزَكَّى بالبعدِ عن الحرام، تُزَكَّى باجتناب الآثام، تُزَكَّى بتطهيرها وتنقيتها وإبعادها عن الرذائل، هذا الجانب الأول.

وتُزَكَّى بتنميتها بالفضائل والطاعات؛ قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾[27]، فالذكر تزكية للنفس.

---

[26] [النور: 30].

[27] [الأعلى: 14- 15].

الصلاة تزكية للنفس، ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾[28]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾[29].

الصيام تزكيةٌ للنفس؛ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[30].

الحجُّ تزكيةٌ للنفس، عموم الطاعات التي أمر الله -سبحانه وتعالى- عباده بها، ودعاهم إليها كلها تزكِّي النفس، وتسمو بها، وترفعها، وتنهض بها إلى عالي الرتب، ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[31].

الطاعات كلها رفعة للإنسان، وسموٌ بنفسه، وعلوٌ بها، كما أنَّ المعاصي والآثام تدَّسِي النفس وتحقرها، وتصغرها.

والنُّفوس نفسان: نفسٌ فاضلة، ونفسٌ دنيئة.

والفاضلة هي: النفس التي أكرمها الله -سبحانه وتعالى- بالتحلِّي بالفضائل.

والنفس الدنيئة: هي التي غمسها صاحبها في الحقارات والرذائل.

وتزكية النفس إبعادٌ لها عن الرذائل، وتنميةٌ لها وتحليةٌ لها بالطاعات والفضائل.

6 الأمر السادس -في هذا الباب العظيم، باب تزكية النفس-:

أهمية إغلاق المنافذ التي تخرج بالإنسان عن التزكية، وتُبعِدُه عن الفضيلة، وتوقعه في الرذيلة، وقد جاء في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم: (أنَّ الله ضرب مثلاً صراطًا مستقيمًا، وعلى جنبتي الصراط سوران؛ أي: جداران، وفي السورين أبوابٌ مفتَّحة، وعلى الأبواب

---

[28] [العنكبوت: 45].

[29] [البقرة: 153].

[30] [البقرة: 183].

[31] [المجادلة: 11].

المفتحة ستورٌ مرخاة، ومنادٍ ينادي من أول الصراط: يا عباد الله! ادخلو الصراط ولا تعوجوا، ومنادٍ ينادي من جوف الصراط: يا عبد الله! لا تفتح الباب؛ فإنك إن فتحته تلِجْهُ؛ قال: أما الصراط: الإسلام، وأما السوران: حدود الله، وأما الأبواب المفتحة التي عليها ستورٌ مرخاة: محارم الله، وأما الداعي الذي يدعو من أول الصراط: فكتاب الله، وأما الداعي الذي يدعو من جوف الصراط: واعظ الله في قلب كلِّ مسلم).

ففي باب تزكية النفس، يحتاج العبد –حاجة ماسة– إلى إغلاق المنافذ التي تنقل الإنسان وتخرجه من التزكية إلى التدسية.

وما أكثرها ولا سيما في زماننا هذا. وقد انفتحت على الناس في هذا الزمان نوافذ كثيرة جدًا، تنقل الناس؛ بل قُل: تنقل الأخيار والمتدينين والصالحين والمستقيمين، تنقلهم من التزكية إلى التدسية، من الهداية إلى الانحراف. كثيرة جدًا، والعاقل يغلق المنافذ التي تدخل عليه الروائح الخبيثة، والأفكار الهابطة، والسُّموم القاتلة، والأدواء الفتَّاكة يحذر منها أشد الحذر. وإذا كان يريد أن يُخاطر بشيء، فلا يُخاطر بدينه، فدينه أغلى ما يملك في هذه الحياة الدنيا، وأشرف ما يملك في هذه الحياة الدنيا، كلُّ شيءٍ إذا ضاع له عِوضٌ إلا الدِّين؛ ولهذا جاء في الدعاء: ((**اللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلْ مُصيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلاَ تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلاَ مَبْلَغَ عِلْمِنَا**))[32].

وبعض الناس يخاطر بدينه، لا يُبالي بتلك المنافذ فيسرح فيها ناظرًا مُشاهدًا مُرائيًا مُسامِعًا؛ ثمَّ تتسلل إلى قلبه وإلى نفسه شيئًا فشيئًا الأفكار الهدَّامة، والشهوات العارمة، والعقائد المنحرفة، والشبهات والشهوات، ثمَّ يشتكي من نفسه، يشتكي من نفسه يقول: أنا عندي شبهات كثيرة، أو يقول: نفسي تهجمُ عليها شهوات عارمة، ويكون هو الذي طرَّق لهذه الشبهات وهذه الشهوات لتلج إلى نفسه من خلال تلك المنافذ؛ فينطبق عليه قول القائل:

"ألقاه في اليمِّ مكتوفًا وقال له .. إيَّاك إيَّاك أن تبتل بالماء"

[32] رواه الترمذي (3502)، وحسنه الألباني –رحمهما الله–.

هذا ما يمكن! ولهذا ينبغي على الإنسان أن يحذر أشد الحذر من منافذ الشر، ومن أبواب الفساد التي تستجلب للنفس الشهوات أو الشبهات أو كليهما، وهذان هما منفذان للشيطان على القلوب.

فالشيطان له منفذان لا ثالث لهما؛ إما الشهوة أو الشبهة؛ وهو [يسام] القلوب، وينظر في ميولاتها، إذا رأى ميل الإنسان إلى التَّدين والتَّمسك عمل على إدخال الشبهات عليه، وإذا رأى ميله إلى التضييع والتفريط؛ سعى في إدخال الشهوات عليه. فإذا حرص العبد على إدخال المنافذ بحيث لا يصل إلى نفسه، ولا يصل إلى فؤاده إلا الفضائل والخيرات؛ فإنَّ هذا من أعظم ما يعينه على سلامة نفسه وزكاتها.

7 الأمر السابع –في هذا الباب، باب تزكية النفس–:

تذكُّرُ الموت، ولقاء الله –سبحانه وتعالى–، ومفارقة هذه الحياة، فإنَّ هذا من أعظم الأمور المعينة، وقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾[33] ولا يزال العبد بخيرٍ إذا كان هذا النظر يعملُ عنده، ينظر ما قدَّم لغدٍ.

أما الإنسان الذي لا يُفكِّر في الغد الذي هو يوم لقاء الله –سبحانه وتعالى–، كل اهتمامه بالأشياء التي أمام ناظريه، وعنده في هذه الحياة الدنيا؛ فهذا يعيش في ضياع.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾[34].

ومن أواخر ما نزل على نبينا عليه الصلاة والسلام؛ بل قيل هو آخر ما نزل؛ قول الله –سبحانه وتعالى–: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[35].

---

[33] [الحشر: 18].

[34] [التحريم: 6].

[35] [البقرة: 281].

فلا يزال العبد بخير، مادام مُتذكرًا لهذا اليوم، وكلما أرادت النفس أن تفعل شيئًا من الأشياء التي تُدسيها وتُحقِّرُها يزجرُها بذلك اليوم، بالوقوف بين يدي الله –سبحانه وتعالى–، وبالجزاء والحساب، كلمَّا أرادت النفس أن تُفرِّط وتُقصِّر في شيء من الأعمال التي فيها نماؤها وفضيلتها ورفعتها وزكاؤها –أيضًا– يُذكِّرُها بلقاء الله –سبحانه وتعالى– وبالجزاء والحساب؛ ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾[36].

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[37].

8 الأمر الثامن –من الأمور التي تعين العبد في هذا الباب–:

تخيُّر الجُلساء، وانتقاء الرُّفقاء، وقد جاء في سنن أبي داود وغيره عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: ((الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ))، قال عليه الصلاة والسلام: ((مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السُّوءِ؛ كَحَامِلِ الْمِسْكِ، وَنَافِخِ الْكِيرِ؛ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَشم مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً))[38].

ولهذا يتطلب هذا المقام –مقام تزكية النَّفسِ– تخيُّر الجلساء، الذين يعينون الإنسان على الخير ويشدون من أزره على الطاعة؛ يقول الله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾[39].

9 الأمر التاسع والأخير –وهو مهم في هذا الباب؛ بابِ تزكيَةِ النَّفسِ–:

---

[36] [الأعراف: 8- 9].

[37] [الزلزلة: 7- 8].

[38] متفقٌ عليه؛ رواه البخاري: 1959، ومسلم: 4762.

[39] [الكهف: 28].

أنْ يحذر الإنسان من العُجْبِ، وأنْ يحذر من تزكية نفسه؛ أي ادعاء زكائها وكمالها؛ فقد قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿**فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى**﴾[40].

والمؤمن مهما اجتهد في الصالحات، واجتناب المحرمات، لا يزال يرى نفسه مقصرًا، ولا يزال خائفًا؛ كما قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ**﴾[41].

قد سألت أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- النبي عليه الصلاة والسلام عن هذه الآية؛ قالت: أهو الرجل يزني ويسرق ويقتل، ويخاف أن يُعذَّب؟ قال: ((**لا، يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ؛ وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يَصُومُ وَيُصَلِّي وَيَتَصَدَّقُ وَيَخَافُ أَنْ لَا يُقْبَلَ**))[42].

ولهذا قال الحسن البصري -رحمه الله-: "المؤمن جمع بين إحسانٍ ومخافة، والمنافق جمع بين إساءةٍ وأمن"؛ ولهذا مهما اجتهد العبد في الصالحات عليه أن ينظر إلى نفسه بعين الْمُقصِّر، الْمُفرِّط، بعين الخائف الوَجِل، الرَّاجي رحمة الله -سبحانه وتعالى-، والخائف من عذابه -عزَّ وجلَّ-.

قال عبد الله بن أبي مُلَيْكة، وهو من التابعين: "أردكتُ أكثر من ثلاثين صحابيًّا؛ كلُّهم يخاف النِّفَاق على نفسِهِ".

فهذه بعض النِّقاط السريعة حول هذا الموضوع العظيم، وأسأل الله -عزَّ وجلَّ- أن ينفعنا بما سمعنا، وأن يجعل ما سمعناه حُجَّةً لنا لا علينا، وأسأله سبحانه وتعالى لنا أجمعين أن يُوفِّقنا إلى كلِّ خير، وأن يهدينا إليه صراطًا مستقيمًا.

---

[40] [النجم: 32].

[41] [المؤمنون: 60].

[42] رواه الترمذي: 3099، وصححه الألباني.

اللهم آتِ نفوسنا تقواها، وزكِّها أنت خير من زَكَّاها، أنت وليها وموالها، اللهمَّ أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا، واجعل الحياة زيادةً لنا في كلِّ خير، والموت راحةً لنا من كلِّ شر.

اللهم اعنا ولا تعن علينا، وانصرنا ولا تنصر علينا، وامكر لنا ولا تمكر علينا، واهدنا ويسر الهدى لنا، وانصرنا على من بغى علينا، اللهم اجعلنا لك شاكرين، لك ذاكرين، إليك أوَّهين منيبين، لك مخبتين، لك مطيعين.

اللهم تقبل توبتنا، واغسل حوبتنا، وثبت حجتنا، واهد قلوبنا، وسدد ألسنتنا، واسلل سخيمة صدورنا.

اللهم واغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا وللمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، إنك غفورٌ رحيم، جوادٌ كريم.

والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم على عبد ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

[الأسئلة]

السؤال:

هذا سائلٌ كريم يقول: ما هو أفضل كتاب في تزكية النفس؟

الجواب:

كتاب الله -عزَّ وجلَّ-.

السؤال:

السائل -يا شيخ!- يقول: كنتُ مستقيمًا؛ ولكني فتحت المنافذ فوصلت إلى الضياع؛ فأصبح قلبي ينكر المعروف ويقبل المنكر، ولا ينفع معي محاضرة ولا نحوها، أرجو توجيهي، والدعاء لي.

الجواب:

أولاً: أسأل الله الكريم، رب العرش العظيم، أن يفتح على قلب هذا السائل وقلوبنا أجمعين بالخير والبركة والتوفيق والسداد، وأن يعيذنا أجمعين من الشيطان الرجيم، وأن يعيذنا من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، وأن يصلح لنا شأننا كله.

وقول السائل الكريم: أنه بلغ مبلغًا لا تنفع معه فيه محاضرة؛ هذا من إلقاء الشيطان في نفسه؛ وإلا الورقة التي كتبها هذه دليلٌ واضح على أنه استفاد، وأنَّ نفسه تطلب الخير، وتنشده، وحريصٌ عليه، وفيه معانٍ فاضلة كثيرة؛ لكن بعض المعاني الفاضلة التي فيه، دفنتها تلك المنافذ. فلينفض هذا الغبار، وليحسن الإقبال على الله -جلَّ وعلا-، وليدعوا الله صادقًا أن يوفقه وأن يتوب عليه، وأن يهديه، وأن يجاهد نفسه على سلوك طريق الاستقامة، والبعد عن الطرق التي تهلك الإنسان.

ثمَّ عليه أن يقول لنفسه: "يا نفس! إلى متى وأنتِ على هذه الحال! في هذه المشاهدات، وهذا النظر، وهذه الأمور الْمُهلكات!؟ إلى متى؟! إلى أن يأتي رسولُ ربِّ العالمين، ملك الموت فأفارق هذه الدنيا؟! والعبد لا يدري متى يفارق هذه الحياة، هل ينتظر هذه اللحظة؟!

ولهذا العاقل يُبادر ويُسارع، ولا يُؤجل، ولا يُسوِّف، والتسويف من عمل الشيطان، وكم من أُناسٍ سوفوا التوبة وأجلوها، وداهمهم الموت قبل أن يتوبوا! كم من أُناسٍ سوفوا التوبة وأجلوها، وداهمهم

الموت قبل أن يتوبوا! فماذا ينتظر العاقل؟! ماذا ينتظر العاقل؟! يؤجل اليوم ويؤجل غدًا، كلما أراد أن يتوب جاءه الشيطان، ودعاه إلى التأجيل إلى أن يداهمه الموت.

فأنصح هذا السائل الكريم أن يبدأ من هذه الساعة بحياةٍ كريمة، وكل المنافذ التي أهلكته يغلقها،و يبتعد عنها، ويأخذ نفسه بحزمٍ وعزمٍ وجدٍّ في طريق الفضيلة والخير، وأن يُبعدها عن كلِّ أمرٍ رذيل، والله –سبحانه وتعالى– المعين والْمُوفِّق.

أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يوفق هذا الأخ السائل، وأن يوفقنا أجمعين لما يحبه ويرضاه من سديد الأقوال وصالح الأعمال. اللهم تب علينا جميعًا يا تواب يا رحيم، اللهم زَكِّي نفوسنا يا رب العالمين! اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، وأصلح لنا شأننا كله يا مجيب الدعاء.

❁❁ ❁❁ ❁❁ ❁❁ ❁❁

السؤال:

يقول: عنده قوة علميِّة سلوكيِّة؛ ولكنه ضعيفٌ في العمل، ونفسه تستوحش من بعض الطاعات، ولا يتلذذ بالعبادات، فما نصيحتكم؟

الجواب:

الخلل الذي يوجد في الناس في باب الاستقامة والتدين والصلاح: إما من جهة فساد العلم، أو من جهة فساد العمل، أو من جهة فسادهما معًا. والموفَّق من عباد الله من أكرمه الله –سبحانه وتعالى – لكسب الصلاحين: صلاح العلم وصلاح العمل؛ وهم الذين يدعو كلُّ مسلمٍ ربه –سبحانه وتعالى– في اليوم فرضًا سبع عشرة مرة أن يهديه سبيله؛ في قوله: ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ**﴾[43].

والمنعَمُ عليهم هم الذين جمع الله لهم بين صلاح العلم وصلاح العمل، جمع الله لهم بين العلم النافع والعمل الصالح.

---

[43] [الفاتحة: 6- 7].

أمَّا من عنده علمٍ لا يعمل به؛ فهذا من أهل الغضب؛ غضِب الله عليهم، وإن كان يعمل بلا علم؛ فهذا ضال؛ ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾.

والمغضوب عليهم: اليهود، والضالون: النصارى؛ وقد قال بعض السلف: من فَسدَ من علمائِنا ففيه شبهٌ من اليهود، ومن فسد من عُبَّادنا ففيه شبهٌ من النَّصارى.

وصلاح العبد بصلاح علمه، وصلاح عمله. وإذا أكرم الله -سبحانه وتعالى- العبد بالعلم النافع؛ فإنه يحتاج مع هذا العلم النافع إلى همَّة عالية؛ مثل ما قال ابن القيم -رحمه الله تعالى- في بعض كتبه: "قال العبد يحتاج إلى علمٍ يهديه، وإلى همَّة عالية ترقيه"؛ لأن الإنسان قد يحصل علمًا، ولا يكون عنده همة.

أحيانًا تجد الإنسان يسمع خطبة جميلة؛ فيها وعظ، وفيها تذكير، وفيها آيات، وفيها مواعظ مؤثرات، وتنتهي الخطبة ويُشِيدُ بها؛ ويقول: جميلة، وعظيمة، ونافعة؛ لكن إذا خرج من المسجد في العمل صفر! ما يعمل، يثني على الخطبة، وعلى معانيها، وعلى دلالاتها؛ لكنه لا يعمل، فلا يكفي وجود العلم؛ بل لابدَّ مع ذلك من الهمَّة؛ لابدَّ مع ذلك من همَّة؛ ولذلك جاء في الدعاء المأثور عن النبي عليه الصلاة والسلام، وهو من أعظم الدعاء وأنفعه: ((اللهم إني أسألك العزيمة على الرشد))؛ لأن أحيانًا يتضح الرشد للإنسان؛ لكن ما يكون عنده عزيمة تنهض به ليعمل، ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ، وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ))[44].

وهذا الجانب، وكل جانب يفرط فيه العبد ويقصر يحتاج فيه إلى أمرين لا بدَّ منهما:

- **الأول**: طلب العون من الله.

[44] أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، وصححه الألباني في السلسة الصحيحة: 3228.

- **والثاني**: مجاهدة النَّفسِ على بذل السبب النافع؛ كما قال عليه الصلاة والسلام: ((**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ**))[45] فإنَّ هذه الكلمة جمعت الخير كله. نعم.

❁❁ ❁❁ ❁❁ ❁❁ ❁❁

السؤال:

يسأل ما مدى أهمية تحقيق العقيدة الصحيحة في تزكية النفوس؟

الجواب:

العقيدة الصحيحة هي القاعدة والأساس الذي تُبنى عليه التوكية؛ كما قال الله -سبحانه وتعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ**﴾[46].

فالعقيدة مثلها في الدين؛ مثل الأصول للأشجار؛ فكما أنَّ الأشجار لا تقوم إلا على أصولها، والبنيان لا تقوم إلا على أعمدتها، فالدين كله لا يقوم إلا على العقيدة الصحيحة؛ فالعقيدة الصحيحة هي أساس التزكية، وقاعدتها التي عليها تُبنى، ولا يمكن للإنسان أن يزكو إلا بالاعتقاد الصحيح، لا يمكن أن يزكو إلا بالاعتقاد الصحيح، والإيمان السليم المستمد من كتاب الله -سبحانه وتعالى- وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وإذا صلحت عقيدة العبد وإيمانه، وحسن إيمانه بالله، وبما أمره -سبحانه وتعالى- بالإيمان به؛ صلح البدن؛ كما قال عليه الصلاة والسلام: ((**أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**))[47].

❁❁ ❁❁ ❁❁ ❁❁ ❁❁

السؤال:

---

[45] رواه مسلم (2052/4 ، رقم 2664).

[46] [إبراهيم: 24].

[47] رواه البخارى (28/1 ، رقم 52) ، ومسلم (1219/3 ، رقم 1599).

يسأل: ما مدى كون الالتزام بالأذكار كما وردت عددًا ولفظًا من حيث التزكية، وهل يجوز ذكرها بالمعنى؟

الجواب:

أيضًا، ذكر الله -عزَّ وجلَّ-، والعناية بالأذكار سواءً منها المقيَّدة أو المطلقة، مع الرعاية والعناية بذكر الله -سبحانه وتعالى- بالألفاظ المشروعة المأثورة عن النبي عليه الصلاة والسلام، وعدم الاستعاضة عنها بأي ذكرٍ مخترع، أو وظائف مبتدعة لا دليل عليها، هذا من أعظم الأبواب التي تزكو بها النفوس، وتطيب بها القلوب.

وفضائل الذكر من حيث التزكية والرفعة والعلو وحق السيئات، عظيمة وكثيرة، ومما جاء في هذا الباب؛ قول النبي عليه الصلاة والسلام: ((**خُذُوا جُنَّتَكُمْ؛ قالوا: يَا رَسُولَ اللهِ أَمِنْ عَدُوٍّ حَضَرَ؟ قَالَ: لَا، خُذُوا جُنَّتَكُمْ مِنَ النَّارِ؛ قَوْلُوا: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ؛ فإنهنَّ الْمُنجِيَات الْمُقدِّمات، وَهُنَّ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ**))[48]. مُنجيات مُقدِّمات، وباقيات صالحات.

وجاء في الحديث: أنَّ النبي عليه الصلاة والسلام، مرَّ بأصحابه بيومٍ بشجرةٍ يابسة، وبيده عليه الصلاة والسلام عصا؛ فضرب الشجرة بعصاه؛ فتساقط منها الورق اليابس؛ فقال عليه الصلاة والسلام والصحابة ينظرون للورق يتساقط؛ قال: ((**إِنَّ سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ لَتُسَاقِطُ مِنْ ذُنُوبِ الْعَبْدِ كَمَا تَسَاقَطَ وَرَقُ هَذِهِ الشَّجَرَةِ**))[49].

فالعناية بالذكر؛ ولا سيما بهذه الكلمات الأربع: (**سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ**) التي هي أحبُّ الكلام إلى الله كما جاء في الحديث؛ جاء في الحديث الآخر؛ قال عليه

---

[48] رواه الحاكم (725/1 ، رقم 1985)، وصححه الألباني في صحيح الجامع: 3214.

[49] أخرجه الترمذى (544/5 ، رقم 3533)، وحسنه الألباني.

الصلاة والسلام: ((**لَأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ**))[50].

وقال في الحديث الآخر: ((**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ, وَأَزْكَاهَا عِنْد مَلِيككُمْ، وَخَيْر لَكُمْ مِنْ إِنْفَاق الذَّهَب وَالْوَرِق** -أي: الفضة- **وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقهمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقكُمْ؟ قُلْنا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: ذِكْرُ اللهِ**))[51].

فذكر الله شأنه عظيم، وأثره كبير، وفائدته على العبد في دنياه وأخراه عظيمة جدًا؛ ﴿**وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ**﴾[52].

السائل: مدى التقيد بالعدد الذي ورد؟

الجواب:

الأعداد أو الأذكار الْمُقيَّدة؛ يُتقيَّد بها كما جاءت، وللشارع فيها حكمة، فلا يزيد عنها ولا ينقص، فالاستغفار ثلاثًا دبر الصلوات المكتوبة، يؤتى به كما جاء، والتسبيح ثلاثًا وثلاثين، والتكبير ثلاثًا وثلاثين، والتحميد ثلاثًا وثلاثين يؤتى به كما جاء؛ فلو قال قائل: أنا سألتزم أدبار الصلوات بسبع وثلاثين، وزيادة الخير بركة! يُقال: هذا بدعة، وحَدثٌ في الدين، والنبي صلى الله عليه وسلم ذكر هذه الأعداد لحكمة.

وعلى المسلم أن يلتزم بهذه الأذكار كما جاءت، وإذا التزم بها ثمَّ أراد أن يذكر الله ذكرًا مُطلقًا، سواءً بالتسبيح أو التحميد أو التكبير أو التهليل، يُكثر من ذكر الله ما شاء؛ لكن الشيء الْمُقيَّد يأتي به مُقيَّد كما جاء.

[50] رواه مسلم (2072/4 ، رقم 2695).

[51] رواه الترمذي (459/5 ، رقم 3377)، وصححه الألباني.

[52] [العنكبوت: 45].

السؤال:

هل يشترط لتزكية النفس الزهد في الدنيا؟

الجواب:

تزكية النفس تتطلب من العبد ألا تشغله الدنيا عن التزكية، ألا تشغله الدنيا عن التزكية، ولا يلزم في باب تزكية النفس؛ ترك الدنيا، أو تخلي الإنسان عن حظه ونصيبه من هذه الدنيا من تجارةٍ أو زراعةٍ أو غير ذلك؛ بل الا تكون هذه الأشياء شاغلةً له عن تزكية نفسه، صارفةً له عن تزكية نفسه؛ فالمال قد يكون عونًا للعبد على تزكية نفسه، وقد يكون وبالاً على العبد في تدسيتها.

فليس من شرط التزكية الانصراف عن الدنيا؛ بل لو اشتغل الإنسان بدنياه ومصالحه وحاجاته دون أن تشغله عن تزكية نفسه؛ فتكون الدنيا في يده لا في قلبه؛ إنما الذي يكون في قلبه، ويكون أكبر همه دينه الذي هو عصمة أمره، وأساس نجاته في دنياه وأُخراه.

❁❁ ❁❁ ❁❁ ❁❁ ❁❁

السؤال:

السائل الأخير؛ يقول السائل: كيف السبيل إلى تزكية النفس لمن يعمل في اليوم أكثر من تسع ساعات؛ وهذا هو الحال في أفضل الوظائف؟

الجواب:

ليست هذه التسع ساعات التي يعملها بمانعٍ من تزكية النفس، وكم من أُناسٍ يعملون مثل هذه الساعات أو أكثر أو أقل، وهم على خيرٍ عظيم في هذا الباب، وكم من أُناسٍ لا عمل عنده أصلاً يرتبط به، وهو واقعٌ –والعياذ بالله– في تدسية نفسه، فوجود الوظيفة أو العمل الذي يحتاج إليه الإنسان لكفاية نفسه في طعامه وعذائه ولباسه وسكنه هو وأولاده، هذه الأمور ليست بمانع،

والشريعة جاءت بالعمل والحث عليه، والحث على اكتساب الرزق، والله -سبحانه وتعالى-: ﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ﴾[53].

وهذه الأمور التي حثت عليها الشريعة ليست عائقًا عن تزكية النفس، وكم من أُناس في أعمال أو في مصالح أو في صناعات أو مهن أو في وظائف، لم تعقهم هذه المصالح عن العمل على تزكية نفوسهم.

أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يوفقنا جميعًا لكل خير، وأن يهدينا سواء السبيل، وأن يصلح لنا شأننا كله.

وصلى الله وسلَّم على عبده ورسوله، نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

[53] [الملك: 15].